الواقِعِيَّةُ السَّاذِجَةُ

في عام (1982) عارض (غاري) جرينوالد انتشار موسيقى (الروك) بَيْنَ الشَّبابِ. وَكَانَ سَبَبُ مُعارَضَتِهِ يَكْمُنُ فِيمَا دَعَاهُ بِالرَّسَائِلِ المعكوسة؛ إِذْ كَانَ يَرى أَنَّ تِلْكَ الأَغانِيَ تَحْتَوِي عَلَى رَسَائِلَ خَفِيَّةٍ يُمْكِنُ سَماعُها فَقَط حِينَ يَتِمُ الاسْتِمَاعُ إِلى الْأُغْنِيَةِ بِشَكْلٍ مَعْكوس، وَأَنَّ تِلْكَ الرَّسَائِلَ تَنْفُذُ إِلى عُقولِ الشَّبابِ غَيْرِ الْمُدْرِكِ لِوُجودِها، دافِعَةً إِيَّاهُ إِلَى سُلُوكِيَّاتٍ خَاطِئَةٍ. وَلِإِقْناعِ النَّاسِ بِرَأْيِهِ بَدَأ (غاري) يُنَظِّمُ نَدَواتٍ عَنْ خَطَرِ تِلْكَ الرَّسَائِلِ المعكوسة، فَكَانَ يَدعو الأهالي، وَيَعْرِضُ فِكْرَتَهُ عَلَى النحو الآتي: يَذْكُرُ مِثالاً لِأُغْنِيَةٍ (روك) مَشْهُورَة، يُخْبِرُ الحُضور عَنْ مُحْتَوَى رِسالَتِها الخَفِيَّةِ المَعْكُوسَةِ، ثُمَّ يَقومُ بِتَشْغِيلِ تِلْكَ الْأُغْنِيَةِ بِشَكْلٍ مَعْكوس لِيَسْتَمِعَ إِلَيْهَا الحُضورُ، وَيَتَأَكَّدُوا مِنْ صِدْقِ ادِّعَائِهِ، فَيَسْمَعُونَ الكَلِماتِ الَّتِي أَخْبَرَهُمْ بِوُجُودِها حَقًّا، فَيَتَيَقَّنُ الحُضورُ مِنْ خَطَرِ تِلْكَ الرَّسَائِلِ الخَفِيَّةِ عَلَى عُقولِ أَبْنَائِهِمْ وَسُلُوكِيَّاتِهِمْ. وَغَالِبًا ما كَانَتْ تِلْكَ النَّدَواتُ تَنْتَهِي بتحطيم الأهالي لأسطوانات أغاني (الروك) الَّتِي يَمْتَلِكُونَها.

وَبَعْدَ انْتِشَارِ هَذِهِ النَّدَواتِ، وَحَدِيثِ وَسَائِلِ الإعلام عَنْهَا، قَرَّرَ أُسْتَاذُ عِلْمِ النَّفْسِ (جون فوكي) إجراءَ تَجْرِبَةٍ لِدِرَاسَةِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ. فَقَامَ بِتَسْجِيلِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الجُمَلِ وَالعِبَارَاتِ بِشَكْلٍ مَعْكوس، بِحَيْثُ تَكونُ مُخْتَلِفَةً فِي مُحْتَوَاهَا وَلُغَتِهَا وَجِنْسِ قَائِلِهَا، ثُمَّ عَرَضَهَا عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ النَّاسِ لِيَسْتَمِعُوا إِلَيْهَا، وَيُجِيبُوا عَنْ بَعْضِ الأَسْئِلَةِ المُتَعَلِّقَةِ بِمُحْتَوَاهَا. وَكَانَتِ النَّتِيجَةُ أَنَّ عَيِّنَةَ البَحْثِ اسْتَطَاعَتْ تَحْدِيدَ لُغَةِ العِبَارَةِ، وَجِنْسِ مُتَحَدِّثِهَا، لَكِنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ تَحْدِيدَ مَا إِذَا كَانَتِ الجُمْلَةُ مُرَتَّبَةً تَرْتِيبًا صَحِيحًا أَمْ غَيْرَ صَحِيح، كَمَا لَمْ يَسْتَطِيعُوا تَصْنِيفَ مُحْتَوَى تِلْكَ العِبَارَاتِ. بِمَعْنًى آخَرَ، لَمْ يَفْهَمُوا مَعْنَى مَا سَمِعُوهُ، كَانَ مُجَرَّدَ صَوْتٍ مِنْ دُونِ مَعْنًى وَاضِحٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ. فَإِذَا كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ، فَكَيْفَ اسْتَطَاعَ الحُضُورُ فِي نَدَوَاتِ (غَارِي جْرِينْوَالْد) سَمَاعَ تِلْكَ الرَّسَائِلِ الخَفِيَّةِ المَعْكُوسَةِ فِي أَغَانِي (الرُّوك)؟

يُجِيبُ عُلَمَاءُ النَّفْسِ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ بِمَا يُسَمَّى **"أَثَرِ التَّوَقُّعِ"**، الَّذِي يُعَرَّفُ بِأَنَّهُ تَأَثُّرُ إِدْرَاكِ العَقْلِ البَشَرِيِّ لِلْمُعْطَيَاتِ الْمُحِيطَةِ بِهِ بِمَا يَتَوَقَّعُهُ عَنْهَا مُسْبَقًا، بِشَرْطِ أَنْ تَمْتَلِكَ تِلْكَ الْمُعْطَيَاتُ قَدْرًا مِنَ الْغُمُوضِ وَالتَّشْوِيشِ؛ إِذْ يَلْجَأُ العَقْلُ، عَادَةً، إِلَى خَلْفِيَّتِهِ الْمَعْرِفِيَّةِ السَّابِقَةِ لِمَلْءِ الفَرَاغِ الَّذِي يَتْرُكُهُ عَدَمُ الفَهْمِ، فَيُدْرِكُ تِلْكَ الْمُعْطَيَاتِ طِبْقًا لِتَوَقُّعَاتِهِ هُوَ، وَلَيْسَ طِبْقًا لِحَقِيقَتِهَا. فَحِينَ حَاوَلَ الحُضُورُ فِي نَدَوَاتِ (غَارِي) تَفْسِيرَ العِبَارَاتِ المَعْكُوسَةِ الَّتِي سَمِعُوهَا، لَجَأَتْ عُقُولُهُمْ لِمَلْءِ الفَرَاغِ المَعْرِفِيِّ النَّاجِمِ عَنْ عَدَمِ الفَهْمِ بِمَا تَتَوَقَّعُهُ مُسْبَقًا عَنْهَا، وَهُوَ مَا تَلَاهُ (غَارِي) عَلَيْهِمْ قَبْلَ تَشْغِيلِ تِلْكَ الأَغَانِي.

LIVEWORKSHEETS

إِنَّ العَقْلَ البَشَرِيَّ جَبَّارٌ فِي قُدْرَتِهِ عَلَى الفَهْمِ، وَجُزْءٌ مِنْ قُدْرَتِهِ العَجِيبَةِ هَذِهِ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى التَّعَرُّفِ إِلَى الأَنْمَاطِ فَوْرَ رُؤْيَتِهَا طِبْقًا لِمَخْزُونِهِ الْمَعْرِفِيِّ: أَلَمْ تَرَ مِنْ قَبْلُ شَكْلَ قِطَّةٍ فِي السَّحَابِ؟ يُفَسِّرُ العَقْلُ التَّشْوِيشَ فِي شَكْلِ السَّحَابَةِ بِنَمَطٍ مَعْرُوفٍ لَدَيْهِ كِقِطَّةٍ أَوْ خَرُوفٍ مَثَلًا.

وَلَكِنَّ تِلْكَ العَمَلِيَّاتِ الأُوتُومَاتِيكِيَّةِ الَّتِي تَقُومُ بِهَا عُقُولُنَا يَنْتُجُ عَنْهَا بَعْضُ الأَخْطَاءِ أَحْيَانًا، لِأَنَّ العَقْلَ يَبْدَأُ فِي اسْتِحْضَارِ تَوَقُّعَاتِهِ الْمُسْبَقَةِ الَّتِي قَدْ تَكُونُ غَيْرَ دَقِيقَةٍ، فَيُفَسِّرُ عَلَى أَسَاسِهَا مَا يَرَاهُ وَيَسْمَعُهُ، فَتُؤَدِّي التَّوَقُّعَاتُ وَالتَّجَارِبُ الْمُسْبَقَةُ إِلَى إِدْرَاكٍ غَيْرِ صَحِيحٍ، يَنْبَنِي عَلَيْهِ اسْتِنْتَاجَاتٌ غَيْرُ صَحِيحَةٍ؛ وَهَذَا مَا يُفَسِّرُ سَبَبَ تَعَصُّبِ النَّاسِ لِآرَائِهِمْ، لِأَنَّ كُلَّ شَخْصٍ يَظُنُّ أَنَّ رَأْيَهُ هُوَ الحَقِيقَةُ بِعَيْنِهَا.

وَهَذَا مَا يُسَمَّى فِي عِلْمِ النَّفْسِ **بِالْخَطَأِ الأَسَاسِيِّ فِي الإِدْرَاكِ**، لِأَنَّنَا كَثِيرًا مَا نُفَسِّرُ الأُمُورَ وَفْقَ قَنَاعَاتِنَا وَرُؤْيَتِنَا لِلْعَالَمِ، وَلَيْسَ اعْتِمَادًا عَلَى الحَقَائِقِ وَالأَدِلَّةِ وَحْدَهَا.

ما مَصْدَرُ تِلْكَ التَّوَقُّعَاتِ المُسْبَقَةِ؟ مَصْدَرُهَا خَلَفِيَّتُكَ المَعْرِفِيَّةُ الَّتِي تَكْتَسِبُهَا مِنَ التَّعْلِيمِ وَالإِعْلَامِ وَالتَّرْبِيَةِ المَنْزِلِيَّةِ وَالْمُجْتَمَعِ وَالثَّقَافَةِ وَالدِّينِ، وَكُلُّ مَصْدَرٍ لِلْمَعْلُومَاتِ يَتَوَفَّرُ لَدَيْكَ طُوَالَ حَيَاتِكَ. وَفِي بِيئَةٍ مِنَ التَّعْلِيمِ الرَّدِيءِ وَالإِعْلَامِ الْمُوَجَّهِ وَالثَّقَافَةِ الضَّحْلَةِ، مَا مِقْدَارُ التَّلَفِ وَالأَخْطَاءِ فِي خَلَفِيَّتِنَا المَعْرِفِيَّةِ وَتَوَقُّعَاتِنَا المُسْبَقَةِ؟!

إِنَّنَا حِينَ نَظُنُّ أَنَّ مَا نَرَاهُ وَنُدْرِكُهُ هُوَ الحَقِيقَةُ بِعَيْنِهَا، وَلَيْسَ نُسْخَتَنَا نَحْنُ عَنِ الحَقِيقَةِ، وَحِينَ نَصِفُ مَنْ يَخْتَلِفُونَ عَنَّا فِي الفَهْمِ وَالتَّفْسِيرِ بِالْجَهْلِ أَوِ الْغَبَاءِ، نَقَعُ فِيمَا يُسَمِّيهِ بَاحِثُو عِلْمِ النَّفْسِ **بِالْوَاقِعِيَّةِ السَّاذِجَةِ**، الَّتِي يُمْكِنُ تَعْرِيفُهَا بِأَنَّهَا :**الاعْتِقَادُ بِأَنَّ مَا نَظُنُّهُ نَحْنُ عَنِ الْوَاقِعِ هُوَ الْوَاقِعُ بِعَيْنِهِ.**

LIVEWORKSHEETS